

الاستقامة

الاستقامة

خطبة جمعة بتاريخ:

(21 ذي القعدة: 1426هـ)

(الشيخ العلامة المحدث: أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الجوزي - حفظه الله تعالى -)

الدفعة رقم [2]

=====

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً.

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)) [إلى عمران: 102]. ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي كَفَّرَ مِنْ نَفْسِهِ وَخَلَقَ وَخَلَقَ بِمَا رُوحًا مِنْهَا رُوحًا وَيَسْأَلُكُمْ فِيهَا لَمَّا كُنْتُمْ خَائِفِينَ مِنْهَا رُوحًا وَيَسْأَلُكُمْ فِيهَا لَمَّا كُنْتُمْ خَائِفِينَ مِنْهَا رُوحًا وَيَسْأَلُكُمْ فِيهَا لَمَّا كُنْتُمْ خَائِفِينَ مِنْهَا رُوحًا)) [النساء: 1]. ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصَلِّحْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَهُوَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالنَّارَ الَّتِي أَنْتُمْ تُصْعَقُونَ بِهَا لَمَّا كُنْتُمْ خَائِفِينَ مِنْهَا رُوحًا وَيَسْأَلُكُمْ فِيهَا لَمَّا كُنْتُمْ خَائِفِينَ مِنْهَا رُوحًا)) [الأنعام: 70-71].

أما بعد:

فإن صدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وشرف النور هديتكم، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس! يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم مهتأناً على قريش: ((لِلْيَلْبَابِ قُرَيْشٍ * إِلَيْهِمْ رُكَّةُ السَّمَاءِ وَالصَّيْفِ * فَاتَّبِعُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جَوْعٍ وَأَمْتَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)) [قريش: 1-4].

وهذه هبة عطية، قاله هو الذي يطعم، والله هو الذي يوزن من سائر الخوف.

((أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَحْرُومًا لِيُذَكَّرَ بِهِ أَهْلُ الْأَرْضِ وَيُنذَرُوا بِهِ وَيَسْمَعُوا أَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَسَيَكُونُونَ بِلَدِّ اللَّهِ الْعَاكِفِينَ)) [الأنعام: 67]. وقال سبحانه: ((وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الَّذِي يَنْزِلُ بِالْحَقِّ)) [النور: 97]. فليتن الله عليهم بأحباب الخوف، عمر.

والخوف من العزجات والهلقات. سواء كان في الدنيا أو في الآخرة. وإن أعظم ما يذهب الخوف ويزيل الحزن وتحل بدل ذلك السعادة والطمأنينة وهودو البرال الاستقامة على دين الله. ومن أراد أيضاً بغير استقامة لا يتحصل على النعم. ومن أراد هودو بال بغير استقامة لا ينتهي له ذلك: ((الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطَوَّعُوا قُلُوبَهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَّا يُذَكِّرَ اللَّهُ تَطَوُّعًا فَالْقَوْمُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ وَأَبَى))(العهد:29-28).

ولم يظن إلى ما أحر الله سبحانه وتعالى به في سورة فصلت. آية عظيمة: ((إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا))(فصلت:30) ما هو المستقام من وراء ذلك؟ وما ثمره ذلك؟ قال الله عز وجل: ((نَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخْفُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبَشِرُوا بِالْآيَةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * تَذُنُّ لَوْلِيُوكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الدَّخْرِ وَكُمْ فِيمَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ))(فصلت:31-30) أي: في الجنة. ((وَكُمْ فِيمَا مَا تَشْتَهُونَ * تَلَّا مِنْ عَمُورٍ رِجِيًّا))(فصلت:32-31).

وهذه الآية العظيمة شملت ثمرات كثيرة من ثمار الاستقامة:

الثمرة الأولى: تنزل الملائكة على المستقيم. وتنزل عليه في عدة مواضع. وفي عدة حالات. ومن تلك الحالات عند موته. تنزل الملائكة تبشره وتطهونه. ليستريح وبعداً بالله ويستبشر بها. ما هو قادم عليه ولا يفزع بها. حصل له في هذه الدنيا. وتنزل عليه إذا حصل بينه وبين لعاد الله صدار قولاً أو فعلياً. ((إِذْ يُوجَى رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهَا وَإِنَّهَا سَاقِيَةٌ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّغْبَ فَاصْبِرُوا فَوْقَ النَّعَاتِ وَاصْبِرُوا وَمَا مِنْ كُلِّ بَاطِلٍ))(الأنفال:12). ((وَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعَدَهُ إِذْ أَخَذْتُمُوهُمُ بِآيَاتِهِ))(إل عمران:152).

ولقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى في كتابه أن الله صدق أوليائه وعده. وأنزل عليهم الملائكة يثبوتهم. ويشرهم بخسبة الالف من الملائكة: ((يَجْعَلُ لَكُمْ فِيهَا خَيْرًا لَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَسُورِينَ))(إل عمران:125).

وسئل النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله جبريل: من خير الملائكة؟ قال: [أهل بدر خير الملائكة أهل بدر الذين نزلوا لتثبيت أوليائه لهم].

ولقد وكل الله بالإنسان والملائكة يحفظونه من أير الله. أي: بأمر الله. في أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته.

يقدر استقامته يحفظ عن القول الخطأ. ويقدر استقامته يحفظ عن الفعل الخطأ. ويقدر استقامته يحفظ عن الشيطان. ويقدر استقامته يحفظ عن النعداء. ويقدر استقامته يحفظ عن الفتن.

فأعظم سبب وأخطر ثمره تستقيهما من الاستقامة سعادة الدنيا والآخرة. ولأن الله تصير حافظه لك بإذن الله سبحانه وتعالى. في حركاته وخروجك. ويفتحك ونهائك. وسفرك وإفائك. وحياتك وموتك. على الفراش. على الصراط. عند العزبان.

((تَذُنُّ لَوْلِيُوكُمْ))(فصلت:31). هذه الآية من الله سبحانه وتعالى. خاب وخسر من عارضها.

يقدر استقامة الإنسان يحفظ. يحفظه الله سبحانه وتعالى.

وإذا نظرت التاريخ أنبياء الله الهشرك الهمز كيف حفظهم الله سبحانه وتعالى؟ لا بكثرة بوال. ولا بكثرة رجال. بل بشأ النبي بين قومه واحداً. ولكنه في غاية من الاستقامة. فيحفظه الله.

قال الله سبحانه وتعالى: ((قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ))(فصلت:6). الاستقامة جالبة للخير الدنيا والآخرة. جالبة للستغفار. وجالبة لكل ما ينفذ في الآخرة وفي هذا الدار. ولهذا حد الله على الاستقامة.

((أَلَا تَخْفَوُا)) [فصحت:30]. المستقير لا ينبغي أن يخاف. ((وَمَا تَأْتِي أَلَّا تَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا)) [إبراهيم:12]. المستقير لا ينبغي أن يخاف وهو قادر على امر ما قد رآه، قادر على قبر، وقادر على امور ما قد رآها معيلة، ولكن تأتيه الهلاكة ويأتيه عمله الصالح عند موته، وهكذا في قبره. (فيقول: من أنت فوجهك الوجه الذي يشير بالخير؟ فيقول: أنا عمالك). وهكذا يؤتمسه في قبره، إنما الاستقابة المؤسسة، الاستقابة مؤسسة في الدنيا والآخرة.

وشريح الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليه تكاليف عليه وتفهمه عصمه، حتى دخل السجن، وهو دخوله السجن للاستقابة اعتبر ذلك لعمى، واعتبره تفرغاً لعبادة الله سبحانه وتعالى، وأنه كان في أشغال: ما يصنع بي لعالي، أنا إن قتلت قتلي شهادة، وإن سجدت فسجني ذلوة، ما يصنع بي لعالي، وكل ذلك صار فيه خير له.

الاستقابة طهانية وهدهو بال على أي حال عليه تجد الراحة.

(ذَلِكَ وَعَدَ اللَّهُ) ((إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا)) [فصحت:30] ودحاوا الله، اخلصوا الله، اعتقدوا ووثقوا بالله سبحانه وتعالى.

تأتي ثبوت الاستقابة بنزول الهلاكة وتثبيتها: ((أَلَا تَخْفَوُا)) [فصحت:30] مما أتمر قديمون عليه. ((وَلَا تَحْزَنُوا)) [فصحت:30] على ما يتبع زائل، ولا تحزنوا على أولادكم، ولا على أولادكم، ولا على أولادكم، ولا على حياكم، لا تحزنوا، الله خلفكم فيهم، الله وليهم، الله يتولى المستقير، ومن نصره الله وتولاه فهو الولي لله سبحانه وتعالى.

الاستقابة من اسباب خروج الإنسان من ظلمات، إذا استقام على شرع الله وابن به، يتولاه الله: ((اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا خَرَبُوا مِنَ الظَّالِمَاتِ إِلَى الظَّالِمِينَ كَمَا كَفَرُوا أُولَئِكَ مَتَّعْتُهُمْ مِنَ الظَّالِمَاتِ)) [البقرة:257].

والمستقير يخرج من ظلمات الجهل يخذل الله إلى نور العلم، ومن ظلمات الغي إلى نور المحي، ومن ظلمات الفتن إلى نور السلاية، ومن ظلمات الضيق إلى نور الانشراح، ومن ظلمات سائر الهضابات ظلمات الشيطان وسائر الهضابات يخرجها الله بسبب استقامته، لأن الله تولاه: ((ما من خير يخرج من بيننا إلا وهو رابحان: راية يبدى مالك وراية بيد شيطان، فإن خرج لها الله تبعه الهلاك رابته، وإن خرج لها يغضب الله تبعه الشيطان رابته). الذي هو مستقير في خروج تنولاه الهلاكة حتى في مشيئة. ((قُلْ مَنْ يَكْفُرْ بِالْقُرْآنِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ)) [الانبيا:42]. وإذا تولاه الهلاكة صرف عنه الشيطان: صرف عنه في مشيئة، وصرف عنه في ما يحصل من الذي صرف عنه الشيطان في مدخله ومخرجه، وسائر حياته، ما طار خارجاً في طاعة الله.

كفى بالاستقابة منجاة من الله سبحانه وتعالى زكى امامها، قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ((إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَّمِنَ مِلَّةِ الْإِسْرَائِيلَ * شَاكِرًا لِّنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِذْ وَصَّاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)) [النحل:121-120]. الله جعله مستقياً فزكاه.

فما دعوت مستقياً فإن الله يزكرك، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب للتركية من ربه: ((العلم ات نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكها، أنت وإلهما وهولهما))، هذا حديث ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم، أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يطلب من ربه أن يزكبه، يزكي نفسه بظهارتها من الشركيات، ويكفيها باقياها على الله، ويكفي نفسه والتفلس قد تطلق على سائر الجسد: ((فَإِذَا دَخَلْتُمْ بيوْتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ)) [البقرة:61]. سوهه زكب، بصره زكب، اسانه زكب، كله زكب إذا زكاه الله، وإن لم يزكبه الله فليس يزكبه.

وأخبر الله سبحانه وتعالى عن موسى وهارون أنه زكاهما: ((وَأَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ * وَجَدَّاهُ وَأَمَلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَاهُمْ فَمَاكُرُوا مِمَّنْ ظَالِمِينَ * وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ مُسْتَقِيمِينَ)) [الصافات:118-114]. استقابة موسى وهارون حوا، زكاهم الله على هذه الاستقابة.

((وَأَنْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ)) [الاعراف:153]. وفر على نفسك، استقابة توفر عليك أنك تسلك صراطاً واحداً، ولا تتشعب، ولا تتخط، ولا تتخطط الامواء، تصير وهوراً على نفسك، وعدم الاستقابة تغرب وتشتت وتزرق وتشرذم وضباع للحياة.

الاستقابة من ثمارها: عدم الركون إلى الهطالين وأهل الهوى والدعوة إلى الله عز وجل بقدر ما يعلم، قال الله عز وجل: ((فَأَسْتَقِيمُ كَمَا أَمَرْتُ وَمَنْ تَابَ وَهَلَكَ وَلَا تَحْزَنُوا لَهُ * يَا تَعَالَى بَصِيرٌ * وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَنَنْتُمْ أَنَّهُمْ تَحْسَبُكُمْ أَعْيُنًا وَهُمْ يُبْصِرُونَ * هُوَذَا تَحْمِلُهَا أَصْفَادًا مَشِينًا * هُوَذَا حُمْرٌ مُّسْتَقِيمَةٌ تَجْرُ لَكُنْزِهِمْ * وَفِيهَا كُنُوزٌ مَّا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ ذَلِكَ وَهُمْ يَخْشَوْنَ اللَّهَ عَظِيمًا * هُوَذَا جِبْرَائِيلُ نَزَّلَ الْوَحْيَ فِي الْقُرْآنِ مُبَشِّرًا بِبُرْجَانِ * هُوَذَا جِبْرَائِيلُ نَزَّلَ الْوَحْيَ فِي الْقُرْآنِ مُبَشِّرًا بِبُرْجَانِ * هُوَذَا جِبْرَائِيلُ نَزَّلَ الْوَحْيَ فِي الْقُرْآنِ مُبَشِّرًا بِبُرْجَانِ)) [هود:113-112]. دل هذا أن الله امر نبيه بالاستقابة وتوابع الاستقابة: لنما ثمارها، عدم الركون إلى الظالمين من الاستقابة، وعدم الخطفان في النقول والافعال من الاستقابة، والهدوة إلى الله سبحانه وتعالى من الاستقابة، وكل مسلم يستطيع أن يدعو إلى الله وأو إلى الإسلام والسنة والعلوم بقدر ما يستطيع، بأقواله.. بلسان حاله وقلبه.

((فَلْيَذَكِّذْ فَأَعِدْ وَاسْتَقِيمْ كَمَا أَمَرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَمْوَالَهُمْ وَقُلْ يَا أَهْلَ اللَّهِ مِنْ كِتَابٍ وَأَمْرٌ لِنَجْلِ بَيْتِكُمْ)) [الشورى:15]. إهره الله بالاستقابة وتوابع الاستقابة: لنن تلك ثمارها.

العهد من ثمار الاستقامة، والدعوة إلى الله من ثمار الاستقامة، وسائر الخيرات، حتى في اللسان وسائر الأعضاء، ومن حديث أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«إِذَا صَبَحَ الْعَبْدُ تَقَوَّلَ اللِّسَانَ: اتَّقِ اللَّهَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ! اتَّقِ اللَّهَ فَمَاذَا نَحْنُ بِكَ إِذَا اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وَإِذَا لَوَجَّحْتَ لَوَجَّحْنَا»**، وأنى تكون الاستقامة للسان إلا إذا استقام الإنسان على طاعة الله عز وجل.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، نحمده وتسبحه، ونستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فلقد وعد الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم بخيرات كثيرة على الاستقامة، وقال عز من قائل: **«(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا رَبُّهُمُ اللَّهُ ثُمَّ اسْتَغَايُوا إِلَيْهِ فَوَلِّوا أَدْبَارَكُمْ وَلَا مُمْسِكِينَ بِأَعْقَابِكُمْ وَلَا مَمْلُوكِينَ بِأَعْيُنِكُمْ وَلَا كُفْرًا بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ إِنَّكُمْ بِعُزْبِكُمْ فَِيمَا سَأَلْتُمُوهَا سَاءُونَ)»** [الأنعام: 114-113]. فجزاء المستقيمين الجنة، وكفى بهذا الجزاء العظيم. **«(حَتَّىٰ تَمُوتُوا فِيمَا سَأَلْتُمُوهَا وَلَا تَمُوتُوا فِيهَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)»** [النساء: 7]. الاستقامة هي طريق النعم عليهم من النبيين

والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. **«(غَيْرِ الْفَاسِقِينَ وَالْمُفْسِدِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ النَّبِيِّينَ وَالْمَوَدَّةِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَمْنُونَ وَالَّذِينَ اسْتَفْزَعُوا لِقَاءَ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)»** [الفتح: 6]. كل مستقيم يحب أن يهدي على الصراط المستقيم. **«(صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ)»** [الفتح: 7]. الاستقامة هي طريق النعم عليهم من النبيين

فيعجب على الهيام أن يعتلي بذلك، ولما قال سفيان بن عبد الله: **«(يا رسول الله! أداني على عمل إذا عولته أدخل به الجنة الحديث- قال: قل: أوتيت بالله ثم استقم)»**، فهذا طريق موصل للجنة، وهل غاية كل سلام إلا الجنة ورضاه الله سبحانه وتعالى، وهذه الغاية وتحصاة في الاستقامة، سواء كانت هذه الغاية وأنت على فراش الموت أو بعد ذلك، إذا كان على فراش الموت ما أن يموت إلا ويرى مقعده من الجنة، وتأثيره البشري، وإذا جاءه الجلال على العناق قال: **«(فحوني فحولي، وإذا وضع في قبره قال: رب أقم الساعة لأذهب إلى أملي ومالي، وكل ذلك العول الذي هو سائر على إقائه الله سبحانه، الذي شرعه الله عز وجل: (سَبِّحْ بُحْرًا وَبَيْنَ الدُّنْيَا مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَآدَمَ وَنُوحًا وَآدَمَ أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ فَإِنَّهُمْ لَكَارِهُونَ)»** [الشورى: 13]. ولا يحصل إقائه الدين إلا بالاستقامة، ولا تحصل الخلقة في الدين إلا بالوعايج، ومن حصلت الخلقة في دين الله حصلت الخلقة في أوساطهم.

فعلى المسالمين أن يعتنوا بالاستقامة في أقوالهم وأفعالهم ومعتقداتهم، وفي عقيدتهم، وفي ظهريهم وخبرهم، كل ذلك يلائم فيه الإنسان الاستقامة على دين الحق، وإقائه دين الله في أقواله وأفعاله وأحواله، وبذلك يكون قد وفر على نفسه سعادة الدنيا والآخرة.

وبالله التوفيق.